إدمان

لا تعرف حقا متى بدأ الأمر لكنه صار هكذا؛ كلما واجهتها مشكلة أو كثرت عليها الضغوط، تهرب إلى عالم الأفلام. في البداية، كانت تكتفي بما تجده على التلفاز، تجلس أمامه معظم النهار تلْتقف كل ما يحمل قصة ما عن شيء ما أو شخص ما...وبعد ذلك صارت تشتريهم على أقراص 'الدِّي في دي' الواحد تلو الآخر حتى صارت لديها مكتبة ضخمة من الأقراص لمختلف أنواع الأفلام؛ لا ذوق محدد لها، فقط فيلم تتحد معه، تفكر في مشاكل أهله، تتفاعل معهم، تبكي لبكاء أحدهم وتضحك لضحكه حتى نسيت كيف تتعامل مع مشاكلها الخاصة.

حين يسألها أستاذ الأدب تجيب بأذكى الإجابات فمخزونها من الأفلام غزير، إنها تجيد تحليل النصوص والمواقف والشخصيات ولكن حين يسألها أستاذ الرياضيات عن الواجب المدرسي، ينعقد لسانها وتعجز عن الإجابة لأنها لم تنجزه ولم يتطَرَّق أحد أفلام الأمس إلى موضوعه. فقط تجلس أمام الأستاذ خائفة، متمنية أن يكون حضوره المرعب مشهدا في فيلم مذهل بواقعيته وهو يصرخ عليها يطالبها بإحضار ولي أمرها. وحين حضر أسمعه الأستاذ محاضرة عن ابنته الحالمة والفاشلة وعن ضرورة توجيهها.

وهكذا قام أبوها برمي جميع أقراصها المدمجة وحرَّم عليها مشاهدة التلفاز وهي تبكي وتنتحب. كان الأمر أشبه بقطع معين الماء عنها؛ إنها من دون مصدر لتغذية استيهاماتها تشعر بالوحدة والبرد، يبدو لها الواقع مخيفا وتعجز عن التعامل معه إلا إذا كان الموقف الذي تجد نفسها فيه مشابها لأحد مشاهداتها فتجيب بما عقَلته وينظر إليها مخاطبها بدهشة متسائلا عن الجنون الماثل أمامه. صارت تمشي في الطريق وحيدة تقتات على ذاكرتها وتتبدل تعابير وجهها باستمرار.

وجاء الفرَج مع قدوم الحاسوب، لقد صارت الدراسة تتطلب توفر الطلبة على حواسيب محمولة لإنجاز بحوثهم لذا اشترى لها والدها واحدا وأوصله بشبكة الأنترنيت وهو يوصيها بالجد والعمل.

أوصدت باب غرفتها على الكنز الثمين واحتضنته بين الملاءات تشعر بالدفء والراحة كأنها وجدت طريقها بعد التيه في مكان غريب. نقرت على إشارة البدء وغاصت في فيلم طويلٍ.